

الرئيسية > الملاحق > تحقيق > إعلان بلفور الحلقة 1-3: «إعلان بلفور» وليس «وعدة».. مشروع طبخة طهاة صهيانية

رابط المصدر: <http://aawsat.com/node/528971>

آخر تحديث: الجمعة - 21 شهر ربيع الأول 1437 هـ - 01 يناير 2016 مـ

إعلان بلفور الحلقة 1-3: «إعلان بلفور» وليس «وعدة».. مشروع طبخة طهاة صهيانية

مستفيدين من قناعات ومصالح بريطانية

الأحد - 16 شهر ربيع الأول 1437 هـ - 27 ديسمبر 2015 مـ رقم العدد [13543]



تغيير الخط ▼ +A -A

يعقوب يوسف الإبراهيم

تبدأ «الشرق الأوسط» اليوم نشر سلسلة من ثلاث حلقات حول «إعلان بلفور»، بمناسبة تكري 100 عام عليه. وتقدم الحلقات الثلاث معلومات مثيرة عن خلفيات الإعلان الذي أسهم إسهاماً مباشرة في رسم سياسات العالم العربي المعاصرة. ولكن، بداية، لا بد من التوضيح بأن ترجمة كلمة DECLARATION الإنجليزية بالعربية هي «إشهار» أو «إعلان» وليست «وعدة». وبين الوعد والإعلان مسافة شاسعة لا ينبغي الاستهانة بها، ومن ثم، فإنها إما أن ضياعا بفقد عالم البقن التوثيقي أهم ركائزه، وعلينا التعرف على أصول المفردات ومعاني ترجمتها قبل حشرها، ومن ثم تكرارها، لأن المعنى الصحيح هو وحده يورث القدرة على التأكيد. والواقع أنه ينظر إلى الترجمة عندما على أنها جزء من الحراك المعرفي، وإن كانت تعيش في مأزق ثقافي يترتب عليه تأصيل الخطأ، وهو ما يطلق عليه (الترجمة الخفية) Covert Translation التي لا تذكر الأصل فتكون قريبة إلى «ترجمة زائفة» Pseudo – translation وهي تعتمد على الاشتقاقات والمقاريب، فتعذر بعيدة عن المعنى المطلوب أصلاً، كما تتضخ تلك الظاهرة أيضاً وبشكل واسع عند نقل الأسماء الأجنبية التي تضع بين حروف تعطي نطقاً شاذاً يصعب فهمه لدى أصحابها بقود حتمًا إلى اغتراب ثقافي وقطعية تؤدي نتيجتها إلى ضياع المعنى. في مثل هذا الموقف يبرز بكل قوة المثل الإيطالي «الترجمون خونة» Traduttore Traditore، والمقصود بـ«الخيانة» هنا خيانة التعبير.

عادة ما يكون اندلاع الحروب نذير شوم حينما تحسم مصائر شعوب الدول المدحورة، بفرض شروط وأحكام وسياسات تطبق عليها قسراً، مخلفة تغيرات جوهرية تترك نتائجها آثاراً عميقة تنقش في الوعي السياسي والاجتماعي فتغير مجريات التاريخ لأمد طويل. ولا أكثر مما خلفته الحرب العالمية الأولى منذ اندلاعها في منتصف ليل 4 أغسطس (آب) 1914 - بتوقيع العاصمة الألمانية برلين - حين وطأت جحافل الجيوش الألمانية أراضي بلجيكا المحايدة ثم هاجمت فرنسا، في عملية خطط لها قبل عقد من الزمن وتحديداً عام 1906، ويومها أطلق عليها «خطة شليفن» نسبة لاسم الجنرال الذي رسمها. حصل كل ذلك نتيجة طلقين من مدسدر إلهي صربي لم يبلغ التاسعة عشر من عمره حين اغتال الأرشيديو فرانز فرديناند ولي عهد إمبراطورية النمسا والمجر صبيحة 28 يونيو (حزيران) 1914 في مدينة سراييفو، معلنة اشتعال النار في كل أوروبا. ولم تتوقف أسنة اللهب عند حدودها بل امتدت فبلغت بلاد العرب التي لم تحب نيران حروبها إلى يومنا هذا، فبانت «بلقان القرن الـ21». وعلى حد قول برنار باجولي، مدير الاستخبارات الفرنسية: «الشرق الأوسط الذي نعرفه انتهى إلى غير رجعة».

غدا التركيز في بداية الحرب على بلجيكا في محنتها. وبغتر ما كان الرأي العام في بريطانيا قليل الاكتراث طوال أكثر من شهر بما كان يحدث في البلقان، فندّ الحرب من أرضه في دولة ضمنت حيادها واستقلالها اتفاقية لندن عام 1839، جعلت من هربرت أسكويث، رئيس وزراء بريطانيا (1908 حتى 1916) وزعيم حزب الأحرار، بطلاً قومياً خلال أيام بعدما كان مستقبله السياسي مهدداً بالانهيار. فخطاب أسكويث في مجلس العموم يوم 16 أغسطس 1914 - حول دخول بريطانيا الحرب صداً لغزو ألمانيا لبلجيكا وتمزيق معاهدة حمايتها - جاء قوياً لا يمكن لأحد الرده على إلا بالتأييد، مما جعل رئيس تحرير جريدة «التايمز» العريقة يكتب في أحد مقالاته بعد ثلاثة أسابيع، مبيّناً ردود الفعل بتأييده في جميع الأوساط، إلى الاقتراح «بشتر تلك الكلمات وتعليقها في كل مدينة وقريه في جميع الجزر البريطانية».

هكذا كانت أجواء الحرب مسيطرة على أفئدة الرأي العام، وهو مما دفع زعماء الحركة الصهيونية الوليدة من اليهود - مدعومة من أصحاب القرار والنفوذ البريطانيين - إلى استغلالها لتقديم برامجهم وطموحاتهم وتحقيقها على أرض الواقع «حينما تصمت المدافع، تطير الطيور بأرزاقها».

* بدايات التحشيد الصهيوني

ولقد كان المشيد ملائماً حين انهمرت المطالبات والمراسلات، مما حدا بهربرت صمويل، أحد الوزراء البريطانيين اليهود وأول وزير منهم 1906 - 1915، بإعداد تقرير بعنوان «عن مستقبل فلسطين» يركز فيه على التعرف على الصهيونية والفوائد الاستراتيجية التي ستجنيها بريطانيا عند انتصارها في الحرب واندحار الدولة العثمانية، وما يتبع انسحابها من الأقطار التي تحت هيمنتها بأن تجعل بريطانيا، فلسطين، تحت حمايتها، وأن تشجع المهاجرين اليهود على الاستقرار فيها حتى يشكلوا نسبة عالية من السكان، لضمان بقائها تحت هيمنة التاج البريطاني. وللعلم، بلغ تعداد اليهود مع النازحين من روسيا وشرق أوروبا في فلسطين بداية القرن العشرين بحدود 55 ألف نسمة - وقد تكون في هذا الرقم مبالغه - بينما كان عدد السكان العرب أكثر من 660 ألف نسمة. وهذه الأرقام صرح بها العضو المشارك في المؤتمر الصهيوني الثاني ليو مونتزكين عام 1898 (راجع «كتاب إسرائيل وتاريخها» لمارتن غيلبرت - ديل دي - نيويورك 1998). كما قدّ جيمس آرثر بلفور، صاحب الإعلان الشهير، عدد السكان العرب فيها بـ700 ألف نسمة كما جاء في مذكره له. وللتوضيح لم تكن هناك إحصائيات دقيقة إبان الحكم العثماني، ولكن كتاب «سكان فلسطين» لمؤلفه جاستن ماكارتني يذكر أن نسبة اليهود آنذاك بحدود 3 في المائة. وكانت تلك الأقلية تتوزع بأعداد بسيطة في المدن فقط، ولا سيما القدس وطبرية وصفد. ومنهم بقايا هجرات «العالية الأولى» 1882 - 1903، التي عاد فهاجر منها نحو 70 في المائة إلى أميركا. وينكر نيفيد بن غريون في يومياته: «إن نصف المهاجرين ألقى نظرة واحدة على الوضع، ثم غادر إلى أوروبا بالسفينة نفسها»، حيث لم تكن فلسطين أرض اللبن والعمل حينذاك!

وحسب يوسف حليم بيرنر في كتابه بالعبرية «ملايم لا بابيم» (أي بين الماء والماء)، فإن «العائلة اليهودية المهاجرة تترك من أفرادها كبار السن والعجزة ومن لا قيمة لهم منهم (شمندريك) في فلسطين، وترحل إلى أميركا. كما حدا بآثرياء اليهود إغراء المهاجرين بالبقاء في فلسطين عبر تأسيس بنك لتمويل تطين المهاجرين تحت اسم «صندوق الاستيطان اليهودي»، من خلال توصية «المؤتمر الصهيوني الخامس» 1899. كذلك أسس في أواخر 1901 صندوق آخر باسم «الصندوق اليهودي الوطني» (كيرن كيمت).

أيضاً، كان اليهود قبيل الهجرة الأولى يملكون نحو 10 آلاف دونم (أي ما يعادل 0.003 في المائة) من أرض فلسطين مقابل 26.3 مليون دونم يملكها العرب مسيحيين ومسلمين. ولكن في نهايتها ارتفعت ملكية اليهود إلى 400 ألف دونم (1.6 في المائة)، وبلغ تعدادهم 55 ألف نسمة. وكانت غالبية الأراضي مسجلة بأسماء منظمات ومؤسسات أجنبية تتمتع برعاية قناصل الدول الأوروبية الكبرى.

* حزب الأحرار البريطاني

رافق التقرير الألف الذكر الذي قّمه الوزير هربرت صمويل - وعلى منواله حملة إعلامية بدأتها جريدة «ماتشستر غارديان» الليبرالية («الغارديان» حالياً) المملوكة والمدارة من قبل تشارلز برنستوك (سي بي) سكوت، الصحافي المشهور المقرب من حزب الأحرار (الليبرالي) وزعيمه نيفيد لويد جورج، ذي الميول الصهيونية، الذي تولى رئاسة الوزراء في نهاية عام 1916، واستمرت وزارته حتى عام 1922. وأسهمت علاقة سكوت بلويد جورج في فتح أبواب أصحاب القرار والتواصل مع زعماء الحركة الصهيونية مثل الدكتور حايم وايزمن، الذي أصبح بعدها من المقربين من لويد جورج، ومن ثم جاءت علاقته الراسخة مع بلفور الذي تسلم وزارة الخارجية، كما سيأتي ذلك لاحقاً.

وكلفت «الغارديان» تستكتب وتنتسقب أفلاماً صحفية مؤثرة من اليهود ومؤيديهم من الصهيانة مثل هربرت بوثم الذي كان يكتب مقالات تهيئ الرأي العام لموازاة المشروع الصهيوني باستيطان فلسطين. ومنها «مذكره حول السياسة البريطانية» أثار انتباه والجدل عام 1915، بالإضافة إلى افتتاحيات الجريدة التي كان يكتبها الصحافي والكاتب اليهودي هاري ساخر، وهو من جملة من أسهموا بوضع مسودة صياغة «إعلان بلفور» قبل تقديمها في يوليو (تموز) 1917.

وكان ساخر هذا همزة الوصل بين سكوت وايزمن، وكذلك مع مجموعة ما أطلق عليها «مدرسة يهود ماتشستر الصهيونية» ذات التأثير القوي. وكان محزك المجموعة الدنيمكي حايم وايزمن بمعية ليون سايمون وسايمون ماركس وإسرائيل سيف وناحوم صوكولوف وأحد دعاة، على الرغم من قلة أعداد مؤيدي الحركة الصهيونية من اليهود، الذين ما كانوا يتعدون 10 آلاف عضو من مجموع الجالية اليهودية المقيمة في بريطانيا البالغ عددها 300 ألف نسمة. وتوزع هؤلاء في المدن الكبرى، مثل لندن التي تروى معظمها، بالإضافة إلى ماتشستر ولينكولن ولينز وبرمنغهام. ومنهم من الجيل الأول للمهاجرين الروس الذي فروا منها نتيجة موجات العنف التي أطلق عليها اليهود الأوروبيون (الاشكناز) اسم «بوغروم» (أي مجازر ما بعد اغتيال قيصر روسيا الإسكندر الثاني عام 1881).

ما لا يُنكر تاريخياً أن التأثير اليهودي الأقوى جاء من العوائل الثرية التي كان يطلق عليها «أبناء العمومة» التي تمتعت بوجود مالي وصناعي لا يستهان به جعلها مقبولة للطبقة الأرستقراطية البريطانية وتترأج معها أحياناً، ومنها روتشيلد ومونتيفوري وصامويل مونتيفوري وموكاتا وكوهين وغولدميت وسانسون وغيرهم.

كذلك كان للصحة والصحفيين اليهود، وخصوصاً الصهيونيين منهم، واضح الأثر في جميع ما يكتب وما ينشر. ولا يمكن أن يجهل دور أقدم جريدة يهودية في العالم ولسان حال الطائفة في أنحاء الإمبراطورية البريطانية منذ صدورها في نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1841 وهي «الجوش كرونكل» JEWISH CHRONICLE الأسبوعية، وخصوصاً بعدما تولى تحريرها ليوبولد غرينبرغ من عام 1907 حتى وفاته عام 1931. إذ أفاض عليها غرينبرغ الصيغة الصهيونية لقره من الفكر الصهيوني الأبرز ثيودور هرتزل ومعلمه في بريطانيا. كذلك كان غرينبرغ على علاقة وطيدة بالسياسة البريطانيين، ومنهم جوزيف تشمبرلين، وزير المستعمرات عام 1902، الذي قدم لهرتزل عرضي العرش ثم أوغندا وطناً لليهود.

وعلى الرغم من أن توزيع الجريدة كان بحدود 50 ألف نسخة، فإن اختراقها بلغ 250 ألف قارئ، مما حدا بالحكومة البريطانية أن توجّل الكشف لإعلان بلفور والرسالة الموجهة إلى اللورد روتشيلد بتاريخ 2 نوفمبر 1917، الذي صاف موع صدورها الأسبوعي، حتى 9 نوفمبر، معطية لها الأولوية والسبق الصحافي، حينما بشرت اليهود في العالم باقتحاحها عنوانها «انتصار اليهود المؤزر».

* الأسباب الحقيقية لـ«الإعلان»

لا أحد يعرف الأسباب الحقيقية التي أدت إلى «إعلان بلغور»، إذ أهرقت بحر من الحبر وعلت جبال من الورق لكتيبة نظريات واجتهادات ضاعت كما تغور سيول المزن في الصحارى الضامى. ولكن بعد فترة خمود الحرب العالمية الأولى، ظهرت دوافع الإعلان على حقيقتها، وهو أنه جزء من مشروع خداع استراتيجي استيطاني هو ما كان يعتقد كل من عرب فلسطين وبعض سكانها القدماء من اليهود (يشوف) YISHUV. وهذا ما أيده أيضًا رئيس دولة إسرائيل إسحاق نافون (1978 – 1983) في مذكراته «كل الطريق» - وأصله من يهود إسرائيليّ الذين هربوا إلى إسطنبول بعد اندحار العرب، ومنها إلى القدس قبل مدة طويلة - إذ يقول في معرض كلامه عن العلاقة بين العرب واليهود: «إن أباه كان صديقًا حميمًا لجاره العربي المسلم (الحاج علي)، وكنا معًا يلحان الاحتلال ثم الانتداب ممثلًا بحدوهما المشترك.. بريطانيا».

بات ما بدّره البريطانيون يعطي أجوبة ذلك اللغز، فالمخططات عادة ما تلبيها المؤامرات حتى تصبح أمرًا واقعًا، ولو أن اختلاق الأساطير هي الحالة الغالبة على العصر البشري من الاستشهاد بالحقائق ونقبتها. وحقًا، لم تتمكن الإدارة المدنية لبريطانيا المفروضة عام 1920 ولا جيشها إقناع أهل البلاد الأصليين بتقبلها، رغم الوعود والإغراءات ثم الضغوط والاضتياع للأمر الواقع.

فهل كانت تلك المحاولات جزءًا من تقليل الضغط السياسي والاجتماعي والديموغرافي لهجرة اليهود الكرى من روسيا وبولندا 1881 - 1905 بعد زيادة حملات الإبادة والتّهجير بأعداد غير مسبوقه، واختيار البعض بريطانيا بتشجيع من الحركة الصهيونية؟ هذا الأمر أدى إلى ازدياد مشاعر اللاسامية في بلد صغير الرقعة الجغرافية واثراها على التركيبة السكانية من طبقات فقيرة مسحوفة لا تربطها ببريطانيا أي وشائج على الإطلاق دينًا ولغةً وانتماءً، حتى وصل إلى حد لا يمكن السكوت عنه، وهو ما دعا إلى تشكيل جهة حكومية للنظر في الأمر عام 1902 أطلق عليها «اللجنة الملكية للحد من الهجرة الأجنبية»، وإن كان المقصود منها هي الهجرة اليهودية.

المسيرة انطلقت بدراسة ونقاشات مستفيضة في البرلمان، وعلى الرغم من تدخل المتنفذين من اليهود، خصوصًا الناشطين في الحركة الصهيونية الجديدة وعلى رأسهم زعيمها ومؤسسها هرتزل، الذي زار لندن ثانية مرتين في صيف وخريف عام 1902 بعدما كان قد قدم للمرة الأولى عام 1896 من أجل الدعوة إلى المؤتمر الصهيوني الأول بسويسرا. ولقد التقى هرتزل مع «اللجنة» ووزير المستعمرات جوزيف تشمبرلين الذي عرض عليه مشروع توطين اليهود في العريش بسيناء (كانت مصر آنذاك تحت الحماية البريطانية) كما عرضت إحدى مستعمرات بريطانيا في شرق أفريقيا (أوغندا) لاستيعاب مليون مهاجر يهودي وجعلها وطنًا قوميًا لليهود تحت الحماية البريطانية. وتقلّ هرتزل الفكرة وعرضها على «المؤتمر الصهيوني السادس» في مدينة بازل السويسرية (23 أغسطس «أب» عام 1903) ففازت بقوله بأصوات بلغ عددها 295، أما المعارضون فكان عد أصواتهم 178 والممتنعون 99 صوتًا، وكان معظم المعارضين من الصهاينة الروس المصّرّين على النص التوراتي «إذا نسيك يا اورشليم، شلت يميني». ويومها أجابه هرتزل بأنه سيكون «مثل موسى الذي قاد شعبه إلى هفيعم عبر انعطاف مؤقت (NACHTASYL)»، لكن المشروع مات مع موت صاحبه في 3 يوليو 1904.

* نكسة «قانون الأجانب»

وكي لا نعود إلى الانتشاك القديم، فإن السرد يخبئ وراء تلك الفترة التي امتدت مدة قاربت ثلاث سنوات حين صدر قانون تحديد الهجرة، ثم تسفير من لم تنطبق عليهم شروط قبول الاستيطان الذي لاقى رفض واستهجان مؤيدي الحركة الصهيونية. وأطلق عليه «قانون الأجانب»ALIENS ACT يوليو 1905. وما يستحق الذكر أنه خلال تلك المدة التي استغرقها قانون المنع، قال بلغور (رئيس الوزراء في حينها)، في خطاب مسهب له في مجلس العموم بتاريخ 10 يوليو (تموز) 1905، قبل الموافقة على صدور القانون، معبرًا عن الاستياء لما وصلت إليه الأمور: «إنها مصيبة لا يظاها شاك قد وقعت على البلاد نتيجة موجة أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود». هذه الألفاظ النارية التحريضية أطلقها أكبر مسؤول سياسي في البلاد ورئيس وزرائها قبل أن ينقلب رأسًا على عقب بعد عدّ ونيف، ويمعّن من معهم من الاستقرار في بلاده حق الاستيلاء على بلاد غيره. ولكن المصالح اليهودية البريطانية آنذاك لم تغفل عن مخاطر ما تمخّضت عنه تلك الأحداث، فأصدرت مجموعة من كبار المتنفذين فيها عبر «كتاب اليهود السنوي» عام 1905، مذكرة موقعة من 25 شخصية بارزة من ضمنها ليوبولد روتشيك وكلود مونتفيوري وفيليب ماغنوس وروبرت كوهين وأوزموند دافيجدور - غولدميث، تقول فيها: «إننا نأسف لما يحدث من تراكم المخاطر التي يثيرها بعض المتنفذين اليهود (الصهيونيين) التي تشجع على الاعتقاد بما يلي:

(أ) التردد والامتعزال عن بقية المواطنين البريطانيين.

(ب) تحطيم الأسس السابقة المؤدية إلى الانصهار في المجتمع مثلما وضعه على سبيل المثال اللورد ماکولي في خطابه بمجلس العموم عام 1883، والذي أكد فيه رفع الحيف عن حقوق اليهود.

(ج) رفع سقف التآجيج والكرامية بين طبقات المجتمع وأطيافه ومضارها خاصة بالنسبة إلى الطبقة العاملة المهاجرة من اليهود، مما يؤثر على مقاييس الوطنية لليهود الإنجليز.

ثم زاد على هذا التصريح الحاخام الأكبر للطائفة اليهودية هيرمان أدلر الذي أيد ما سبق بقوله: «منذ تحطيم الهيكل وانتشار اليهود في العالم، فهم (اليهود) لا يشكلون أمة بل نحن طائفة دينية» (المرجع – «الجيش كرونیکل»، 23 أبريل «نيسان» 1909).

ولإعطاء فكرة عن ازدياد أعداد اليهود في بريطانيا نتيجة هجرتهم إليها، فإن الأرقام تقول إن عددهم عام 1880 كان بين 30 و40 ألف نسمة، وهم اليهود المستقرون فيها، والمتقلمون مع سكانها، حتى يصعب التفريق بينهم لإقامتهم الطويلة ولعدة أجيال. وقبل أول القرن الـ19 ابتدأت الهجرة اليهودية بأعداد كبيرة فقلت 100 ألف نسمة، وما إن حل القرن الـ20 وبحسب تحديد إحصاء عام 1901 حتى أصبح عددهم 300 ألف نسمة معظمهم من يهود روسيا وشرق أوروبا ووسطها، من أصل مجموع سكان بريطانيا البالغ نحو 40 مليون نسمة.

* تشرشل ووايزمن.. والأسيتون

* ينكر لويد جورج في مذكراته «ذاكرة الحرب» أن «إعلان بلغور كان مكفأة د. وايزمن على جهوده لاختراع ساعدنا على الانتصار في الحرب، وترك بصمة دائمة على خريطة العالم».

وتكرر ذكر هذه الرواية مرات كثيرة، وقبلها البعض بأنها سبب يمكن الارتكاز عليه، لكنها حقًا من بنات أفكار لويد جورج، لأن وايزمن نفسه قال: «كان بودي أن تكون الأمور بذلك السهولة، لكنني لن أنسى الصعوبات التي زاملت مسار الإعداد من كبر وعمل شاق، والخيبة أحيانًا. فالتاريخ لا يكتب بفرك مصابيح علاء الدين» (راجع مذكرات وايزمن «التجربة والخطأ»). ولكن مما لا شك فيه أن اكتشاف وايزمن الكيماوي ساعد الحركة الصهيونية على فتح أبواب مكاتب أصحاب القرار والمجتمع البريطاني المحافظ والمصرّ على التقاليد على الرغم من صعوبتها. إذ كان وايزمن في نظرة ذلك المجتمع مجردّ مهاجر يهودي أجنبي، وإن كانت بعض العوائل اليهودية المتنفذة تنظر إليه بالمعيار نفسه.

إلا أن هذا الحال تغير فجأة عندما جاء اختراع ليننج وايزمن فرصة العمر، ويدفعه بقوة إلى دائرة الضوء وصنع القرار في عام 1915، الذي كان من أفسى أعوام الحرب التي عاشتها بريطانيا في مجهودها الحربي، سواء كان ذلك على الجبهة الغربية (في إبير ونوتشيل)، أو وجهات الشرق الأوسط، وتحديدًا نكسة حصار الكوت (في العراق) وفشل حملة الدردنيل (في تركيا).

هكذا كانت الصورة قائمة عندما قابل وينستون تشرشل، وزير البحرية حينذاك، وايزمن يوم 15 أبريل من ذلك العام. وجاء ذلك الاجتماع بعد نجاح تجارب وايزمن في إنتاج سائل الأسيتون المستخدم في صناعة المتفجرات بواسطة تخمير فضلات تصنيع الخمور، بدلًا من الطريقة الطويلة والمكلفة لتقطير الأخشاب. ويومذاك بارده تشرشل بضرورة إنتاج 30 ألف طن منه، وأمر بتهنية كل ما يحتاجه للإسراع بتوريده. لقد كان الأسيتون العنصر الأهم لقلب موازين القوى وكانت الصناعة العسكرية بأسس الحاجة له، لإنتاج قنابل متطورة عديمة الضوء والدخان. وبدأ العمل بالفعل في يوليو 1915، وبحلول يناير (كانون الثاني) 1916 أمكن توفير المادة المطلوبة. وعلى الأثر، انتدب وايزمن للعمل في وزارة الحرب البريطانية في لندن، تاركًا عمله الأكاديمي بجامعة مانشستر.

وهكذا فاز وايزمن بحظوة كبيرة وكثرت علاقته، وأصبح مستشارًا متخصصًا ذا نفوذ مكّنه من اجتياز جميع المعوقات، فكتب إلى زوجة اللورد جيمس روتشيك الذي غدا من أقطاب الحركة الصهيونية البريطانية حينها عن اختراعه يقول: «سيفيد قضيتنا في فلسطين، وأرجو أن يساعد الحظ النجمة اليهودية» (راجع: مراسلات وايزمن 18 يوليو 1915).

*باحث كويتي

اضغط [هنا](#) للطباعة.

الرئيسية > الملاحق > تحقيق > إعلان بلفور الحلقة 2-3: بلفور ولويد جورج ووايزمن... «الثلاثي» الأسخى خدمة للقضية الصهيونية

رابط المصدر: <http://aawsat.com/node/529981>

آخر تحديث: الاثنين - 17 شهر ربيع الأول 1437 هـ - 28 ديسمبر 2015 م

إعلان بلفور الحلقة 2-3: بلفور ولويد جورج ووايزمن... «الثلاثي» الأسخى خدمة للقضية الصهيونية

اهتمامات وجهود حيثية مشتركة على الرغم من الخلافات المغيرة

الاثنين - 17 شهر ربيع الأول 1437 هـ - 28 ديسمبر 2015 م رقم العدد [13544]



تغير الخط ▼ +A -A

يعقوب يوسف الإبراهيم

في الحلقة الثانية من هذه السلسلة الثلاثية التي تسلمت الضوء على «إعلان بلفور» بعد مرور 100 سنة على إصداره، نستعرض في سيقنا السردى المراحل التي مرت قبل فترة فكرة إعداد الإعلان لتكون الصورة أكثر وضوحاً. إذ كان أول اتصال رسمي قامت به الحركة الصهيونية الحديثة لأجل اقتراح وطن قومي لليهود، قد بدأ بزيارة زعيمها ثيودور هرتزل Herzl للندن صيف عام 1902 وحضوره للإدلاء بشهادته أمام اللجنة الملكية لتحديد أعداد المهاجرين اليهود، وقد تم ذلك في السابع من يوليو (تموز). عرضت من خلاله بعض الأطفال ومنها أوغندا والأرجنتين لتخفيف الضغوط على ترأحم الزواج إلى بريطانيا، وقد تبني صرف التكاليف المالية للمشروع الذي اليهودي البارون موريس دي هيرش، بالإضافة إلى أفكار واختيارات أخرى كان مصير جميعها الفشل. ولكن النشاط الصهيوني لاحقاً، خصوصاً في فرع مانشستر، كان الأكثر حراكاً وتنبهاً للمشيد السياسي البريطاني، وذلك لتغلغل أعضائه في الأحزاب السياسية، لا سيما حزب الأحرار، شكل ثلاث حكومات انتلافية متعاقبة بين أواخر 1905 وأواخر 1922. وواكب ذلك صعود نجم جريدة «مانشستر غارديان»، المحسوبة على الحزب، وكانت تنبئ المشاريع الصهيونية وأفكارها المسنودة من مالكوها ورئيس تحريرها سي بي سكوت. ومن ناحية أخرى، الاستفادة من انتخابات عام 1906، لتوطيد معرفة مسيفة بكار الساسة المرشحين من حزب المحافظين أيضاً، مثل بلفور وونستون تشرشل، لاغزاهما خوضها من خلال دوائر في مانشستر. وأدت هذه الخطة إلى تعرف بلفور بوايزمن يوم 27 يناير (كانون الثاني) 1906 في فندق «كوينز هوتيل»، مقر حملة بلفور الانتخابية. وهذا، مع التذكير بأن وايزمن كان استقر بمانشستر قبل أقل من سنتين. وكان هذا اللقاء نواة علاقة قوية وطويلة بين الرجلين.

لم يكن جيمس آرثر بلفور غريباً على ما كان يطلق عليه اسم «المسألة اليهودية» منذ كان رئيساً للوزراء بين عامي 1902 - 1905، وكما سيق الإشارة، عرض وزير المستعمرات في وزارته، جوزيف تشمبرلن على هرتزل العرش وأوغندا. في أثناء رئاسته أيضاً بلغت أزمة هجرة اليهود بريطانيا مداها مما أدى إلى سن «قانون الأجانب» عام 1905 وموقفه منه. ولكن شهوة الحكم وحاجته إلى أصوات اليهود ومساندتهم لم تخفف من غلوه فحسب، بل غيّرت من اتجاه أفكاره كلياً، ورسخ ما دار من حديث بذاكرة لا تنسى حسيماً أقض به شخصياً أو ما سجلته كتب سيرته، بأن محور الحديث كان في موضوع واحد هو «مستقبل اليهود وتعلّمهم بفلسطين أرض ميعادهم»، فحين سأله بلفور: «لماذا رفضتم أوغندا؟»، كان رد وايزمن: «هل ترضى بريطانيا أن تكون عاصمتها باريس عوضاً عن لندن؟»، فأجاب بلفور: «كيف يكون ذلك؟ وعندنا لندن؟»، فرد وايزمن: «ونحن كذلك عندما أورشليم يوم كانت لندن مستنقعا». وعندها أبدى بلفور استغرابه متسائلاً: «... وهل هناك كثيرون من اليهود من يحملوا نفس الفكرة؟ فانا استغرب لأن اليهود الذين أعرفهم لا يحملون هذا الشعور»، فأجابه وايزمن: «إنك تعرف اليهود الخطأ يا مستر بلفور».

بعد تلك المقابلة الأولى، غاب بلفور عن المشهد السياسي لخسارته في انتخابات عام 1906. ولم تجمع الرجلين الظروف إلا بعد 10 سنوات عندما التقيا في منزل بلفور بلندن في 12 ديسمبر (كانون الأول) 1914، قبل أن يصبح بلفور وزيراً للبحرية، ثم وزيراً للخارجية، في حكومة لويد جورج الانتلافية (ديسمبر 1916) إبان أشد أيام الحرب العالمية الأولى.

ويتذكر وايزمن أن بلفور كان يتذكر كامل تفاصيل حديث لقاء يناير 1906، وحين انتقل الحديث عن فلسطين والذي أخذ معظم الوقت اختتم بلفور حديثه بأن أمنية وايزمن ستتحقق بعد انتهاء الحرب بقوله: «حينما تصمت المدافع ستحصل على أورشليمك يا دكتور وايزمن». ثم أضاف: «إنك تعمل لغاية نبيلة وعليك بزيارتي مرة بعد مرة دائماً»، واستمر الاتصال الدائم بينهما - كما سدرى - إلى آخر حياة بلفور السياسية حين دعي لافتتاح الجامعة العبرية في القدس أبريل (نيسان) 1925. وكان وايزمن آخر من زار بلفور من الأصدقاء قبل موته يومين في 19 مارس (آذار) 1930.

تعاطف لويد جورج وبلفور

يلعب اسم بلفور (1848 - 1930) دوراً محورياً كبيراً في تاريخ الصهيونية بإعلان حمل اسمه منذ يوم 2 نوفمبر (تشرين الثاني) 1917 وإلى يومنا هذا، أي بعد قرن من الزمن. ولكن غيب ذلك ديفيد لويد جورج، رئيس الوزراء البريطاني 1915 - 1922، الذي كان له دور أكبر ولكن من وراء الكواليس. لقد كان لويد جورج المؤيد الأول والمدافع الأكبر والمخطط الأخطر لطموحات الصهيونية، ويظهر كل ذلك حديثه إلى صديق يهودي، أضافاً نوازعه الشخصية إبان اشتداد معارك الحرب العالمية الأولى في فرنسا، غير مكترث لسقوط أعداد ضخمة من قتلى الجيوش البريطانية في معارك الشوم وإيبير. إذ قال لويد جورج: «حينما يتكلم الدكتور وايزمن عن فلسطين فهو يردد أسماء مدن ومواقع معروفة لدي وأعرفها جيداً أكثر من أسماء مواقع الجبهة الغربية».

أصبح بلفور وزيراً للخارجية في 10 ديسمبر 1916 لغاية 23 أكتوبر (تشرين الأول) 1919 بعدما كان وزيراً للبحرية 25 مايو (أيار) 1915 حتى تسنّم منصبه في وزارة لويد جورج الانتلافية. وهو سياسي ينتمي إلى حزب المحافظين، وسليل أسرة من كبار ملاكي الأراضي القدامى منذ القرن الحادي عشر في اسكتلندا. ولقد ولد في 6 أكتوبر 1848 وأطلق عليه اسم آرثر تيمناً بأرثر ويلينغتون (الدوق الحديدي فاهر نابليون 1852) الذي كان «عزابه» (أبوه بالتعميد) GODFATHER. أما خاله فهو روبرت سيسيل (اللورد سولزبري) رئيس وزراء بريطانيا ثلاث مرات منذ عام 1885 لغاية 1902. وتخرج بلفور بامتياز من كلية تريبيني أغنى كليات جامعة كمبريدج العريقة عام 1869 وكان قد أنهى قبلها دراسته الثانوية في كلية إيتون المرموقة. وتوفي أبوه مبكراً وترك له ثروة كبيرة حتى إنه عندما بلغ من 21 سنة كان أغنى شاب في بريطانيا، حيث ورث آنذاك أكثر من مليون جنيه إسترليني. ومن ثم دخل معترك العمل السياسي مبكراً تحت رعاية خاله الذي كان وزيراً للخارجية وأصبح سكرتيراً خاصاً له. وبعد تولي سولزبري رئاسة الوزراء عام 1886 عهد إليه بكسري وزارة شؤون أيرلندا التي كانت من أشق المناصب، إذ انتابت البلاد اضطرابات عنيفة نتيجة صدور قانون الحكم المحلي الذي أدى إلى سقوط حكومة ويليام غلادستون، ألمع زعماء حزب الأحرار التاريخيين، عام 1885. وهي فترة حرجة ظن كثيرون أنها ستكون نهايته السياسية، بيد أنه استطاع اجتياز ذلك الامتحان الصعب بحزم وقوة حتى أطلق عليه الأيرلنديون لقب «بلفور الدموي» BLOODY BALFOUR. ويُعزى إلى تلك الفترة نجاح تجربته السياسية في الحكم التي أعطت ثمارها ليصبح رئيساً للوزراء خلفاً لخاله بين عام 1902 حتى 1905، ليعود بعدها إلى الساحة السياسية بعد احتجاج عشر سنوات وزيراً في وزارة لويد جورج.

خلفية وايزمن المتواضعة

أما الطرف الآخر من المعادلة، أي وايزمن، فإن خلفيته الاجتماعية والسياسية نقيض لبفور شكلاً وموضوعاً وكأنه قد جاء من عالم آخر. فقد ولد عام 17 نوفمبر 1874 في قرية فلاحية صغيرة قرب مونتول بأراض إقطاعية شاسعة يطلق عليها PALE (في جمهورية بيلاروس، أو روسيا البيضاء، حالياً). وهي حدود إثنية خلقت في القرن الثامن عشر إبان حكم الإمبراطورة كاترين لإسكان اليهود وفصلهم عن السكان الروس، محاطة بإدارة حكومية شبه عسكرية يتكلم أهلها لغة اليهود اليديش ودراسهم بالعبرية، حيث كانوا يجيئون اللغة الروسية ويتفاهمون مع جيرانهم بلهجة سلافية بسيطة. معظم سكان المنطقة كانوا من الفلاحين والبقية صناع نسيج وحرفيون حالتهم المعيشية العامة فقر وبؤس. أما والد وايزمن فكان يهودياً متشدداً اسمه أوزير كان يعمل قاطعاً للأخشاب ويعيل أسرة من 15 صبياً مات منهم ثلاثة. وتزوج أوزير وعمره 16 سنة قاعة اسمها راشيل عمرها 14 سنة، وكان كثير الغياب لمدد طويلة يجمع خلالها الأخشاب في فصل الشتاء يدفعها إلى نهر قريب، وعند حلول الربيع يربطها مسفراً بها حتى يصل إلى ميناء دانزيج على البلطيق لبيعها، وكان عمله السنوي محكوماً بالتقويم اليهودي والاحتفالات الدينية يحضر في غيابه لأداء طقوسه كمشتد ديني مع جماعة المترمتين.

درس حايم وايزمن في مدرسة دينية مكثقة بالأطفال اليهود وعمره أربع سنوات، لكنه شَبَّ على الاعتقاد بأنه لن يستطيع العيش بالاعتماد على التلمود، واعتقد منذ بلوغه الحادية عشرة مبادئ حركة قومية يهودية يطلق عليها «حوفيقي زيون» (محزّو صهيون). والتحق بمدرسة ثانوية روسية عام 1886 في مدينة بينسك عندما كانت حكومة روسيا القيصرية تسمح لأعداد قليلة من اليهود المتقوين بعد مباحث عام 1881، وبعد انتهائه من الدراسة الثانوية لم يجد بداً من المغادرة إلى ألمانيا لالتحاق في معهد برلين التكنولوجي (جامعة تقنية مرموقة) ويعمل في مدرسة لتعليم العبرية لتغطية مصاريفه. وبعد تخرجه انتقل إلى سويسرا حيث نال الدكتوراه من جامعة برن عام 1899 ثم عمل محاضراً في جامعة جنيف وتعرّف على زوجته فيها. وكان وايزمن عضواً نشطاً في محافل الحركة الصهيونية، وحضر المؤتمر الثاني للحركة عام 1897 ثم أصبح مديراً لفرعها في جنيف. وبعد موت زعيم الحركة الصهيونية هرتزل في فيينا 4 يوليو 1904 هاجر إلى بريطانيا حيث التحق بجامعة مانشستر أستاذاً للكيمياء، وصار مواطناً بريطانياً عام 1910. وحتى يتقبله المجتمع الجديد دون تمييز غيّر اسمه الأول من حايم إلى تشارلز وايزمن.

اليهود في بريطانيا

ترجع إقامة اليهود في بريطانيا إلى قبل القرن الـ12 حتى طردهم منها عام 1290، ثم عودتهم مره أخرى إبان سقوط الملكية وفترة حكم أوليفر كرومويل بعدما وافق مجلس الدولة في 25 يونيو (حزيران) 1656 إثر التماس قدمه منشي بن إسرائيل، حاخام أمستردام بهولندا، عام 1651. وكان معظمهم من يهود إسبانيا الذين طردوا منها بعد سقوط حكم العرب عام 1492، لتلججه موجات منهم إلى شمال أوروبا بعد تكتيل «محاكم التفتيش» بهم، وهم ما كان يطلق عليهم «المورانو» (اليهود الإسبان).

صاحبت تلك الإقامة، وجلبهم من صغار التجار والحرفيين، صفة الانكباب على العمل والمعيشة وفي مكان واحد (الغنوة)، فعاشوا تقليداً سلروا عليه من الابتعاد عن نطاق العمل السياسي، وهو دينهم منذ القرون الوسطى. ولم تكن لهم حقوق مدنية كالانتخاب في البرلمان أو المجالس البلدية، كما ولم يكن بمقدورهم الالتحاق بالدراسات الجامعية إلا بعد تأسيس «الكلية الجامعية بلندن» التي غدت نواة جامعة لندن عام 1827، أو المتاجرة في «الحي المالي» إلى عام 1830، أو العمل بالمحاماة إلى عام 1833. وعلى الرغم من ثراء بعضهم فإن الحقوق العامة التي تنادي بالمساواة لم تكن في متناولهم. وقد زامن ذلك أيضاً الصراع العنيف بين البروتستانت والكاثوليك الذي كان طاعياً مدة 300 سنة، حتى صدور قانون تحرير الروم الكاثوليك عام 1829، فابتدأت إثره بعض الاستثناءات، وبقيت معضلة الحلف القانوني الذي يستلزم صاحبه القول: «بالعمل كما تقضيه الشريعة المسيحية»، أدى إلى إقصاء اليهود وحرمانهم من امتيازات المشاركة العامة كالكاثوليك.

لكن مطالبة اليهود بحقوقهم المدنية والسياسية بدأت منذ عام 1830، وبلغت أعدادهم آنذاك بين 30 – 40 ألف نسمة، واستمرت لمدة عشر سنوات بلا طائل. ومع أن مجلس العموم منحهم حق الانتخاب فإن مجلس اللوردات عارض ذلك، وأصر على رفض منحهم آياً من تلك الحقوق، معتبراً أن «اليهود هم أمة أجنبية لا تنق إلا بديانتها وتنشئ للعودة إلى فلسطين وأن تعاليمهم من صليها كره المسيحيين، وتهمنهم ببقية على قتل المسيح، وعقابهم بعدم منحهم حقوق التجنين». وللعلم، فإن القوانين في بريطانيا لا تصدر إلا بموافقة المجلسين (العموم واللوردات).

دخولهم عالم السياسة

ولم يقتصر الأمر على مجلسين العموم واللوردات، بل رفضت الملكة فيكتوريا بعد ذلك تماس رئيس وزرائها غلاستون عام 1869 تعيين ليونيل ناتان روتشيلد (1808 - 1879) عضواً في مجلس اللوردات، إذ قالت غاضبة: «إني أرفض أن أجعل من يهودي لوردًا»، لكن على إثر صدور قانون إيداء الرأي الديني عام 1846 سمح للكاثوليك، ثم اليهود من بعدهم، بالترشح لعضوية مجلس العموم، فرشح ليونيل ناتان روتشيلد (زعيم الطائفة اليهودية) عام 1847 وفاز بالانتخاب، إلا أنه لم يسمح له احتلال مقعده في مجلس العموم، لأن القمم لا ينطبق عليه لعنم انتمائه إلى الدين المسيحي، فرفضت عضويته واستمر إلى عام 1858 حينما سمح له بتغطية رأسه بكيس وحلف دون أن يمكن أحد سماع صوته. واستمر عضواً لمدة عشر سنوات دون أن ينطق بحرف واحد خلال مدة عضويته.

ارتفع عدد النواب اليهود إلى 3 نواب عام 1859. وفي انتخابات 1865 أصبح العدد 6 نواب كلهم من حزب الأحرار، وفي عام 1880 نقص العدد إلى 5 نواب واحد منهم عن المحافظين. وبعد 10 سنوات أصبح العدد 10 نواب عام 1900، سبعة منهم من المحافظين. وارتفع العدد عام 1910 إلى 16 نائباً، سبعة منهم محافظون والبقون من الأحرار، وفي بداية الحرب 1918 انخفض العدد إلى 11 نائباً، سبعة منهم من المحافظين.

وبلغ تعداد الطائفة اليهودية قبل هجرة اليهود الروس والبولنديين في نهاية القرن الـ19 نحو 50 ألف نسمة، بقون صفاً واحداً أمام النشاط الصهيوني الذي بدأ بقوة إثر دخولهم. فظهرت معارضة شديدة، في المقابل، خصوصاً من العوائل اليهودية البريطانية الرأسمالية الكبيرة والمتنفذة والمستقرة منذ أمد بعيد، لنشاط لا يحمل الولاء الكامل لبريطانيا، بل يشكك في إخلاص اليهود نحوها بما يؤثر على مراكزهم الاقتصادية والاجتماعية. وكان أبناء هذه العوائل يؤمنون بأن ولاءهم كيهود يجب أن يكون للوطن حيث يقيمون، ويحمل مبادئه وجنسيته. وهذا يتناقض مع ما حمله المهاجرون الجدد ومن يؤيدهم من أفكار معاكسة، منها الاشتراكية، فأبدوا امتعاضهم وغضبهم تجاهها. وهذا ما واجهه منهم ثيودور هرتزل، زعيم الحركة الصهيونية الحديثة، عند زيارته الأولى عام 1896 للدعوة إلى افتتاح «المؤتمر الصهيوني الأول» في بازل بسويسرا عام 1897، إذ رجح خالي الفواقض بعدما دعا الحاخام الأكبر ليهود بريطانيا هرمان أدلر، فوصف الصهيونية بأنها «ضد المبادئ والتعاليم اليهودية».

الجالية.. والصهيونية

إلا أن تنفق موجات الهجرة خلال الربع الأخير من القرن الـ19 وبداية الـ20 رفع عدد السكان اليهود إجمالاً لأكثر من ربع مليون نسمة سكتيرون منهم يحملون الأفكار الصهيونية - ما دفع الحكومة البريطانية إلى أن تفكر في حلول أخرى تجهض ما ستقلقه هذه الحالة من مشكلات اجتماعية ونشوء «غيتوهات» إتبئية، تتركز سكن اليهود في «الحي الشرقي» من لندن. وهو ما حدا بهرتزل القول «الحي الشرقي لنا».

وما إن حل عام 1899 حتى تأسس «الاتحاد الإنجليزي الصهيوني» الذي حاول أعضاؤه دخول المعترك السياسي بترشيح نواب عنهم في مجلس العموم عام 1900 بتشجيع من هرتزل. وعندما لم تلقح المحاولة غيروا الاتجاه بانتخاب نواب غير يهود مؤيدين للمطالب الصهيونية، وكان معظمهم من حزب المحافظين، أحدهم بلفور، لخوض الانتخابات والاستعانة بأصوات النابخين اليهود عام 1906، كما اتجه تأييد اليهود أيضاً بقوة لحزب الأحرار.

* باحث كويتي

مذكرة عن أهداف الحركة الصهيونية والمسألة اليهودية

* لترح قليلاً إلى خريف 1916 حين أعد وايزمن وسوكولوف مذكرة عن أهداف الحركة الصهيونية والمسألة اليهودية، كان البعض يعتقد أنها صعبة التحقيق، ولم تعرض على أحد حتى تبلغ عنها أحد كبار مستشاري مجلس الحرب مارك سايكس، وبعد عدة اتصالات تمت مع أطراف أخرى، من ضمنها ليوبولد غرينبرغ، رئيس تحرير جريدة «الجوش كرونكل»، الذي يسر الاتصال فتم لقاءه بوايزمن في 28 يناير، فاطلع عليها وعرضها على مروسية في المجلس الذين طلبوا منه مزيداً من المعلومات، وفي 7 فبراير (شباط) 1917 اجتمع سايكس مع مجموعة من زعماء الحركة الصهيونية لتفانٍ إمكانية تحقيق ما حوته المذكرة. ومن جملة الحضور كان هريتر صموئيل أول وزير يهودي في تاريخ بريطانيا، وجيمس وولتر روتشيلد. ولناحوم سوكولوف وجوزيف غاوين وهاري ساخر بالإضافة إلى وايزمن، وكان التركيز على ضرورة إقامة وطن قومي في فلسطين، بالإضافة إلى الطلب من الحكومة البريطانية السماح للحركة الصهيونية استخدام وسائل الاتصالات الرسمية الخارجية لتسهيل مهماتها عبر قوات لا يمكن التعرض لها، وكذلك تسهيل حركة انتقال مسؤوليها لأداء مهماتهم.

لقد كان رئيس الوزراء لويد جورج يرند «وايزمن أكثر زعماء اليهود تأثيراً خلال فترة الحرب، فهو متمكن علمياً في حقل الكيمياء، وكانت اختراعاته متفجرات CORDITE ACETONE محط إعجاب المسؤولين في وزارة الأسطول، بالإضافة إلى حريفة التخطيط والتأمل». وكانت الآراء متفقة بين رئيس الوزراء ووزير خارجيته بلفور على تحقيق الطموحات الصهيونية في ما يتعلق بالوطن القومي الذي كما قال فيه بلفور: «ليس من الضرورة تأسيس دولة يهودية مستقلة حالياً، ولكنها يجب أن تأخذ تقدماً ثنائياً يناسب القوانين العادية للتقدم السياسي لتحقيقها».

غدت المطالبات الصهيونية تنصب على «ألا تكون متساوية مع سكان فلسطين (العرب) لأنها بلاد متخلفة والحقوق المتساوية تكون في البلاد المتقدمة، وفلسطين تحتاج إلى من يطوّرها، وذلك موجود عند اليهود (الأوروبيين) فقط ويستطيعون تقديمه».

ويظهر أن هذه الأفكار وجدت قبولاً لدى أصحاب القرار في بريطانيا، فما إن حل أبريل عام 1917 حتى كانت الصحافة البريطانية تتكلم عن فلسطين يهودية تحت الحماية البريطانية، كما استطاع الصهيانية الحصول على وضع سياسي رسمي يمكن من خلاله استخدام وسائل الاتصال والانتقال خلال التمثيل الدبلوماسي البريطاني بالخارج وتوسيل احتياجاتهم، وغدت الدوائر الرسمية تعاملهم كممثلين رسميين. وبهنا من الظاهر والمتحقق والمدرّك أن مشاعر الصهيانية قاسية ومتحجرة، مثل من يحارب ويعتقد أنه وحده من يملك الحقيقة المطلقة.

ومما قاله بلفور في معرض كلامه للورد هاردينغ، نائب الملك في الهند، عام 1922: «إن أصقاعنا اليهود يصعب التعامل معهم، فهم يلجأون إلى التشويش المفزع من أجل الاستحواذ على أمور في غاية النقاها». ويكمل: «ولكن مسألة الحدود، في الحقيقة، مهمة لأنها تؤثر على الإمكانات الاقتصادية لتطوير فلسطين، وعليها يعتمد فشل أو نجاح الصهيونية، فهي تجربة جريئة مخوفة بالمخاطر، إلا أنها نظري تستحق المخاطرة ويجب أن تحصل على فرصة».

إن هذا الإصرار الواضح الذي يدفعه رسوخ إنجيلي متأصل أنرجه بلفور في مذكرة عن فلسطين وسوريا والعراق في أغسطس (آب) 1919، يقول فيها بصراحة فظة: «إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية. والصهيونية سواءً كانت على حق أو خطأ، أو كانت حسنة أو سيئة، فإنها متجذرة في تقاليد قديمة. وفي ظروف الحاجة الزاخرة والأمال المستقبلية فإنها (الصهيونية) أهم بكثير من رغبات أو ميول 700 ألف عربي يقيمون حالياً فوق هذه الأرض الحقيّة. وهذا، في رأيي، هو الصواب».*

(*) المصدر: كتاب «بلفور» لمؤلفه ماكس إيغرمونت.

كولينز للنشر — (1980)

إعلان بلفور الحلقة 1-3: «إعلان بلفور» وليس «وعد».. مشر وع طيخه طهاة صهيانة

اضغط [هنا](#) للطباعة.

الرئيسية > الملاحق > تحقيق > إعلان بلفور الحلقة 3-3 : دخول أميركا الحرب العالمية الأولى دفع الصهاينة إلى التركيز على فلسطين

رابط المصدر: <http://aawsat.com/node/530391>

آخر تحديث: الثلاثاء - 18 شهر ربيع الأول 1437 هـ - 29 ديسمبر 2015 م

إعلان بلفور الحلقة 3-3 : دخول أميركا الحرب العالمية الأولى دفع الصهاينة إلى التركيز على فلسطين

دعم الرئيس ولسون وصديقه لويس براندائيس لخطط بلفور عجل بحسم المواقف

الثلاثاء - 18 شهر ربيع الأول 1437 هـ - 29 ديسمبر 2015 م رقم العدد [13545]



تغير الخط ▼ +A -A

يعقوب يوسف الإبراهيم

في الحلقة الثالثة والأخيرة من سلسلة «إعلان بلفور»، نعرض لتغير صورة المطالبة بوطن لليهود بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى في أغسطس (آب) 1914، ودخول تركيا طرفاً في الحرب مع الألمان ضد بريطانيا في نوفمبر (تشرين الثاني) من السنة نفسها. فبداية اقترحت أسماء بلاد متفرقة طرحتها الحكومة البريطانية، وتبني تمويلها الأغنياء اليهود البريطانيون. ولم يكن يومها اسم فلسطين مطروحاً آنذاك بل العريش في سيناء، وأوغندا والأرجنتين، لأن فلسطين كانت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية التي تربطها علاقات ومصالح مع بريطانيا. ولكن بعد تجر الحرب بدأت الحركة الصهيونية تبذل جل نشاطها في جعل قضيتهم المركزية تتمحور حول فلسطين. ولذا احتدمت المعارك الدبلوماسية في المحافل المدنية والديبلوماسية الحكومية، فحشد خصوصاً حايم وايزمن ومجموعته في لندن، وحايم سوكولوف في باريس وروما، والقاضي لويس براندائيس والصهاينة الأميركيين المقربين من الرئيس وودرو ويلسون في واشنطن لتكتمل الحلقة.

ما كانت الولايات المتحدة الأميركية قبل الحرب العالمية الأولى مهمة بالحركة الصهيونية على الرغم من ازدياد أعداد المهاجرين اليهود إليها، ولكن تداعيات الحرب لم تعترف بالبعد الجغرافي عتية، فألقت بظلالها لتدخل في المعركة أسوة بالآخرين. لقد التزمت واشنطن الحياد طيلة سنوات تلك الحرب ضد ألمانيا لأسباب كثيرة، منها أن هناك أعداداً كبيرة من الأميركيين من أصول ألمانية وأيرلندية لا تحبذ المشاركة. وكذلك لأن كثرة من اليهود المهاجرين الذين ذاقوا آلام الحروب في أوروبا افترقت طويلاً، فضلوا استقرار وهدوء حياتهم الجديدة في المهجر. ثم إن سياسة أميركا المتمثلة بالذاتي عن سياسات الهيمنة والسيطرة والاستعمار التي عانت هي منها قبل استقلالها، انسجمت مع انصراف الرأي العام الأميركي عما يجري بعيداً عنه، ناهيك بأن أميركا كانت ضد التحالفات والمعاهدات السرية التي كانت شائعة في أوروبا، وتشكل جزءاً من فصول مناخها السياسي. لكن الوضع بدأ يتغير عندما بادرت ألمانيا بحلول عام 1917 إلى التضيق على بريطانيا ومحاولة خنقها اقتصادياً، فباشرت بحرب الغواصات في المحيط الأطلسي لقطع طرق الإمدادات عنها.

ولفترة ما تعاقل الأميركيون عن بعض ما أصابهم من خسائر بشرية ومادية. لكن برقيات من وزير خارجية ألمانيا آرثر زيبرمان التقطتها بريطانيا عن مشروع عقد حلف مع المكسيك، بتعهد بتزويدها بالسلاح والمساعدات لإحلال المكسيك - بعدما سابت علاقاتها مع أميركا - بحرب لاستعادة الولايات التي احتلها الأميركيون، وهي أريزونا وتكساس وتيومكسيكو، أثار الرأي العام الأميركي. عندها أعلنت أميركا الحرب على ألمانيا في 6 أبريل (نيسان) 1917، وتعهد الرئيس وودرو ويلسون أنه بهذا الإعلان سيوقف كل التحالفات والمعاهدات السرية في أوروبا بعد انتهاء الحرب.

التفاهم الأنجلو - أميركي

أتلج هذا صدر بريطانيا، ورأت فيه قرب نهاية ألمانيا وإنهاء الحرب، وعبر عنها وزير خارجيتها بلفور: «بأنها فرصة رومانتيكية لم أحظ بمثلها في حياتي كلها»، معتمة المناسبة بترتيب زيارة تسقيق وتعاون حربيين لواشنطن بأسرع وقت ممكن. وجاءت موافقة ويلسون يوم 19 أبريل، مقترحة أن تكون المهمة دبلوماسية وليست عسكرية، ولكن بلفور كان قد غادر لندن بصحبة وفد من 25 عضواً من ضمنهم حاكم البنك المركزي، وجنرال وأميرال ومبعوث من وزارة التسليح. وأحيط سفر الوفد من ميناء غرينوك في اسكتلندا على الباخرة «أولمبيك» بسرية بالغة، درءاً من أخطار الغواصات الألمانية. وانتهت الرحلة البحرية في ميناء هاليفاكس بكندا يوم 20 أبريل، وانتقل الوفد بعدها صباحاً، وغادر بواسطة قطار خاص إلى واشنطن، فوصلها بعد يومين، ولقي فيها استقبالا حافلاً. وفي اليوم التالي قبل ويلسون، وعقدت المباحثات طوال إقامة دامت لمدة أربعة أسابيع، وكان سبق لبلفور أن أخبر وايزمن في 22 مارس (آذار) عن نيته زيارة أميركا خلال أبريل ومايو (إيار)، كما أطلعه على أن أميركا ستعلن الحرب على ألمانيا، وهو ما حدث في 6 أبريل.

لويس براندائيس

كانت زيارة بلفور لمقابلة ويلسون شخصياً ذات أبعاد سياسية تتصل بالتعاون الأنجلو - أميركي المستمر إلى يومنا هذا، على الرغم من أن دخول أميركا بجانب حلفائها ضد ألمانيا تأخر بعض الشيء، إذ خدمت نيرانها بعد إعلان الهدنة يوم 11 نوفمبر 1918. لكن بلفور كان يريد أيضاً التأكد شخصياً من تأييد واشنطن منح الحركة الصهيونية ما تصبو إليه وتبغته، ويرغب أيضاً في التعرف عن قرب على القاضي لويس براندائيس، أول يهودي يعين في المحكمة العليا الفيدرالية، وأحد أشهر أقطاب الحركة الصهيونية الأميركية، والمستشار المقرب للرئيس الأميركي الذي لا يخفي تأييده بما يتعلق بمصالح اليهود في العالم.

بلفور سمع من براندائيس عندما التقاه يوم 7 مايو كلمات «أن الآمال متعلقة بوطن قومي، وإسناد دعوة الحركة الصهيونية في تحقيق ذلك، وفقاً لقيم الأخلاق والمبادئ الإنسانية لإيجاد وطن لليهود حسب الأماني التي تدعو إليها الطائفة اليهودية بأجمعها»، وهنا طمأنه بلفور بقوله «أنا صهيوني». ولاح بعد رده بأن براندائيس كان مرتاحاً لما سمعه عندما التقيا يومي 7 و10 مايو، وتعمد بلفور الصريح: «سأفعل كل ما بوسعي لتحقيق تلك الأماني». وكان سبق لويلسون أن أخبر براندائيس يوم 6 مايو أنه «ينظر بعين الموافقة على أن تكون فلسطين تحت الحماية البريطانية»، وأنه طمأن الصهاينة الأميركيين لتأييده الأفكار الصهيونية. وهكذا تأكد بلفور بأن واشنطن مع إعلانه، علماً بأن بريطانيا كانت تحتاج إلى إرضاء أميركا، لأنها كانت مثقلة بديون الخزنة الأميركية، لنفقت الحرب المباشرة التي بلغت خلال سنواتها 850 مليون جنيه إسترليني.

رسالة روتشيلد

لدى وصول بلفور لندن تسلم رسالة من اللورد روتشيلد قبيل منتصف يونيو (حزيران) يطلب موعداً لمقابلته بصحبة وايزمن، الذي كان تلقى تلميذات براندائيس حول لقائه بلفور. وعقد اللقاء بعد يومين في مكتبه بوزارة الخارجية. وكانت مبادرة روتشيلد بأن الوقت بات مناسباً للحكومة البريطانية، لإصدار إعلان يحقق أمل اليهود وأمنيتهم، فجاء رد بلفور بالموافقة السريعة على المبدأ، وطلب إعداد مذكرة تحوي ما يحمله هاجسهم. ويذكر وايزمن في مذكراته «التجربة والخطأ» عن ذلك «قلبنا وزير الخارجية، ووضعا أمامه حتمية الظروف، وأن الوقت مناسب لقيام الحكومة البريطانية بإعلان مؤيد لتأييد مساعيها، وقد وعدنا السيد بلفور بأنه سيفعل ذلك، وطلب وضع مسودة لإعلان يناسبنا ليرفعه إلى (مجلس الحرب)». ويذكر أن لويد جورج قد ألف بعد تشكيل وزارته 7 ديسمبر (كانون الأول) 1916، لجنة صغيرة أطلق عليها «مجلس الحرب» مكونة من خمسة أعضاء برئاسة، وضمت وزير الحربية ألفرد ميلنر، ووزير الأسطول إدغار بونر لو، وكذلك رئيس الأركان، وممثلاً عن حزب المعارضة، وأحياناً وزير الخارجية (بلفور) إذا دعت ضرورة ما يطرح لأخذ القرارات التي تحتاج إلى البت السريع ومنها مسودة الإعلان.

وعند تسلم الضوء الأخضر بدأ الصهاينة اتصالاتهم لتشكيل مجموعة لصياغة المسودة، وكانت مؤلفة من أركان «مدرسة ماثئستر الصهيونية» برئاسة حايم وايزمن وناحوم سوكولوف وإسرائيل سيف وسامون ماركس وليون سامون وأحد حكامه، وأحياناً هاري ساخر، وأطلق على فريق العمل هذا اسم «اللجنة السياسية الصهيونية». وبدأت اجتماعات اللجنة في فندق «إمبريال هوتيل» بساحة راسل سكوير القريبة من محطة يوستون للسكك الحديدية بوسط لندن في بداية شهر يوليو (تموز) 1917. واكتملت المسودة في 17 من الشهر نفسه، ونفخت إلى اللورد روتشيلد يوم 18 يوليو الذي رفعها بدوره إلى بلفور وأرفقها برسالة يقول فيها:

(نص الرسالة - بتاريخ 18 يوليو 1917)

«عزيزي السيد بلفور... وأخيراً تمكنت من أن أرسل إليك المسودة التي طلبت إعدادها، وأرجو أن تقوم حكومة صاحب الجلالة بإرسال رسالة لي على ضوء هذه المسودة إذا وافقت وأنت عليها، وسأسلمها إلى اللجنة الصهيونية، فيكون إعلانها باجتماع

تدابير للحيلولة دون وقوع ذلك. كذلك لم تنشر محاولة الوفد الفلسطيني الذي سافر إلى لندن في 25 يونيو 1921 برئاسة موسى كاظم الحسيني لتغيير الأمر وحلحلة الموقف. وبعد سنة صدر «الكتاب الأبيض» الرقم 1700 بتاريخ 22 يونيو 1922.

وبعد مؤتمر باريس قامت بعثة أميركية لتقصي الحقائق يرأسها هنري تشرشل كينغ وتشارلز كرين (من 10 يونيو إلى 18 أغسطس 1919). رفعت تقريرها بأن أهل فلسطين (العرب) عارضوا التوسع الصهيوني، وأضافت أن فكرة تأسيس وطن مستقل لليهود مشروع غير مجد، لكن لا أحد في الحكومة الأميركية أبدى أبسط اهتمام لما جاء في تقرير اللجنة، فركن ثلاث سنوات قبل إعلانه في ديسمبر 1922، ولم تعلن الأسباب وبقي ذلك اللغز العنيد الذي لم يحل بعد. ولكن قد يمكن تفسيره بما كتبه هرتزل في يومياته في يونيو 1901: «في يوم ما، وحين نتحقق إقامة دولة اليهود، كل ما يدور عنها سيظهر تلقيا لا قيمة له. وقد يكتب مؤرخ محايد أنه وجد شيئا قام به صحافي يهودي مقلد يعيش بين أعماق قهر الشعب اليهودي وقمة اللاسامية البغيضة، قد خلق علما من خرقه، وجعل من ذلك الرعاغ التعيس أن يلم شعثه حول ذلك العلم».

* باحث كويتي

اضغط [هنا](#) للطباعة.